مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 7 / العـدد: 02 (2019)، ص ..- ..

"كيفية قراءة النص الفلسفي" (القراءة التفسيرية المغلقة و القراءة التأويلية المفتوحة)

"How to read the philosophical text" (closed explanatory reading and open interpretive reading)

أ: دريوش راضية جامعة مولود معمري- تيزي وزو

تاريخ الاستلام: 2019/09/05 تاريخ القبول: 2019/10/10 تاريخ النشر: 2019/11/08

الملخص:

نسعى في هذه المداخلة إلى معرفة آلية الولوج في قراءة النسق الفلسفي أو في تحليل كيفية قراءة النص الفلسفي، حيث ميزنا بين نوعين من القراءة:

- القراءة التفسيرية المغلقة
- القراءة التأويلية المفتوحة

ولقد بينا أن النص الفلسفي يقرأ بطريقتين مختلفتين وذلك تبعا للمنهجية التي يطبقها القارئ على النص وما يحمله من رؤية فلسفية وخلفية فكرية وإيديولوجية.

الكامات الإفتتاحية: النسق، التأويل، القراءة التفسيرية، القراءة التأويلية،القراءة.

Résumé ;

Dans cette intervention, nous cherchons à connaître le mécanisme d'accès à la lecture du système philosophique ou à l'analyse de la lecture du texte philosophique, en distinguant deux types de lecture:

- Une Lecture interprétative fermée
- Une lecture explicative ouverte

Nous avons montré que le texte philosophique est lu de deux manières différentes, selon la méthodologie que le lecteur applique au texte et la vision philosophique et le fond idéologique qu'il porte.

مقدمة:

إن تاريخ الفلسفة ليس ترديدا لأقوال الفلاسفة، بل هو فلسفة تأتى من إعادة النظر في الأسس والمبادئ التي بنا عليها الفلاسفة تجاربهم الفكرية ، فتاريخ الفلسفة خصب يكتنف الكثير من المشكلات الفلسفية التي أصبحت الآن محورا للجدل والنقاش، وهي قضايا ربما لم تكن مثارة للاهتمام قديما ، بل إن **فعل القراءة الفلسفية كشف عنها.**

يعتبر النسق الفلسفي بخصائصه ومفاهيمه ومنهجه جملة من العناصر العقلية أو البنية الصورية المتماسكة التي لا تنفصل عن المضمون الفلسفي لتجربة الفيلسوف. فالنص رسالة من الكاتب إلى القارئ يمثل بناء من الأفكار، يتألف من شبكة معقدة من المفردات والتراكيب ومعاني العلاقات بينها، ومن الدلالات والمعاني والأسلوب والسياق والتي بمجموعها نعبر عن مقاصد الفيلسوف الصريحة والمضمرة. فالنص بهذا المعنى يشكل خصوصية الفيلسوف الذي يقدم عبر النص رؤية معينة حول موضوع معين.

ولما كان الفيلسوف يحاول أن يتجاوز زمانه بعقله، وكان **النص الفلسفي** يتصف بالخلود والأبدية، فان **قراءة** النص الفلسفي تتصف بالأبدية والخروج عن الزمان أيضا. فالنص يخضع لفاعلية القراءة وطرق التفسير والتأويل الخاصة.

إن النص الفلسفي الذي من الواجب أن يجسد أفكار الفيلسوف تجسيدا دقيقا يتعامل معه القارئ من رؤيتين مختلفتين:

فالنص إما أن يقوم بوظيفة إقامة علاقة بين **"قصد الفيلسوف"** المبدع لنص، وبين القارئ الذي يحاول بقراءته استعادة هذا **"القصد"** وإحيائه، وان يحمل القارئ إلى" **تأويله** " عبر عملية إبداعية خاصة.

إن القارئ ليس ماهية مجردة، بل هو مرهون بالشرط الزماني والمكاني وهكذا فان علاقة القارئ بالنص الفلسفي ليست عملية بسيطة، بل مركبة تتداخل أو تتشابك فيها أربعة عناصر أساسية وهي:

' **النص- القارئ،- المنهج- والفضاء الفكري للقارئ** '. وما دام أن للقارئ اهتمامات معرفية خاصة ومرجعية فكرية مشحونة مسبقا بتطلعات محددة بسبب خبرتها ومعرفتها

لنصوص فلسفية سابقة (تاريخ الفلسفة)، فان القارئ إما أن يجعل مرجعيته الفكرية لنص المقروء ويبقى في الإطار العام للنص الفلسفي، محاولا فهم مقاصد الفيلسوف وشرحها- فالمؤلف مثلا هنا يكون دائم الحضور مع القارئ)- وتوضيح الأفكار والمفاهيم الملتبسة أو الغامضة في إطار النسق المقروء وهذا ما ندعوه ب " القراءة التفسيرية المغلقة"، وان يبحث القارئ عن مقاصد وتحديدات خاصة يفترض وجودها في " النص الفلسفي" لكونه ينتمي إلى فلسفة معينة، أو يحمل رؤية فلسفية نقدية خاصة، فيلغى دور المؤلف أو "قصيدته" أو "تحديداته" فيقدم قراءة جديدة خاصة به، وهو ما نسميه بالقراءة " القراءة التأويلية المفتوحة".

إذن القراءة النسقية هي إطار عام محصور بين نوعين من المناهج، حيث تتحدد طبيعة النسق الفلسفي في ضوء نوع القراءة، أو وفقا لرؤية المنهجية التي يمارسها القارئ على " النص الفلسفي" . فالنسق الفلسفي يعد **"نسقا مغلقا"** عندما يطبق القارئ على النص منهج الفهم والشرح تمشيا مع السياق العام لنسق، وهادفا إلى المحافظة على وحدة النسق وتكامله وانسجامه، لتوضيح الملتبس والغامض فيه، بينما العكس من ذلك يعد النسق الفلسفي "نسقا مفتوحا " عندما يمارس القارئ على النص فاعلية نقدية تأويلية بمنهج خاص(1).

وبهذا فان نوع القراءة هو الذي يحدد طبيعة النسق الفلسفي، أو بتعبير أخر، إن فعل القراءة هو اتجاه إلى النص وأبنيته ، كما تظهر في خبرة القارئ . إن فعل القراءة هي علاقة الذات بالموضوع، أو حلول القارئ في النص، ولكن تظهر هذه العلاقة في نمطين مختلفتين من القراءة و هما: **'(القراءة التفسيرية المغلقة) والقراءة التأويلية المفتوحة.(2)**

1- ***القراءة التفسيرية المغلقة:***

إن القراءة المغلقة تجعل من حياة المؤلف شرطا أساسيا لتحليل النص، وعاملا مساعدا في تفسير أفكاره، وتوضيح إشكالاته الفلسفية، إذ تعمل على إزالة اللبس والغموض الذي يحيط بالنص.

وهي (اي قراءة المغلقة) إحدى نظريات قراءة النسق الفلسفي، التي تقوم على مبدأ عدم الفصل بين النص الفلسفي وصاحبه، وتنطلق من الالتزام بمعطيات النص الفلسفي، بهدف إبراز "قصد" أو" تحديدات" الفيلسوف. وبتعبير أدق تهدف نظرية القراءة المغلقة إلى اكتشاف

"قصد" الفيلسوف وربطه بمجموعة نظريات النسق. لكن هذه النظرية في القراءة قد تبيح التأويل ضمن حدود نصية ضيقة، لأنها تهدف أصلا إلى تفسير الملتبس والغامض في النسق للإبراز اتساقه وتكامله وانسجامه وربطه بالمفهوم الرئيسي الذي يضبط النسق الفلسفي عامة، وعليه فالقراءة التفسيرية المغلقة التي تطبق على النص تبقى مجرد أصداء لبعضها البعض.

إن الانغلاق في هذا النوع من القراءة، ينبع من محاولة القارئ التواصل مع المؤلف وإبراز قصده، ا وان تقوم هذه القراءة أساسا على المعايشة أو التفاعل بين المؤلف والقارئ ، فتبدو **القراء التفسيرية المغلقة** كمشاركة من القارئ يقدمها للمؤلف بهدف الكشف عن عمق مقاصده، فالقارئ والمؤلف يلتقيان عبر النص في القراءة المغلقة.

وغالبا ما يلجأ إلى القراءة التفسيرية الشارحة المغلقة التلاميذ وأشياع هذا الفيلسوف أو ذاك ، فهؤلاء يعتقدون أن النص الفلسفي لا يأتي كاملا أو منجزا من مؤلفه، بل يحتاج إلى فهم وشرح وتوضيح، لان المؤلف ليس مطالبا بشرح عمله ، وإلا انتفت أهمية إبداعه.

فالقراءة المغلقة الشارحة التي تكشف عن قصد الفيلسوف تمنح النص التحديد والانسجام، وتربط بين أجزائه، فتضفي عليه النسقية والتكامل بصفة كلية شمولية. و أن يحاول القارئ الشارح أن يكتشف لدى الفيلسوف منهجا خاصا يعمل من خلاله على ربط فروض ونظريات وموضوعات مختلفة في نسقه ربما لم يكن مبدعها قد فكر بربط بعضها ببعض منطقيا..فالمفاهيم والأطروحات والنظريات الديكارتية مثل:" الأنا" و"الله" و"العالم" و"الخلق المتجدد"، قد لا يكون ديكارت ربط بعضها ببعض صراحة داخل نسقه الفلسفي، وهذا ما قام به تلاميذه وأتباعه من بعده، فالقارئ المفسر والشارح هو الذي يعمل على ربط أفكار الفيلسوف عبر منهج يكتشفه هو، ويطبقه على نسق أرسطو أو ديكارت.....مثلا ليتفاعل مع الفيلسوف، ويحاول الكشف عن قصده ليجعل من نسقه نسقا مترابطا متكاملا ومغلقا.

ففي هذا الإطار يمكن التمييز بين نوعين من المناهج في مطار نظرية القراءة التفسيرية المغلقة، وهما:

1- منهج خاص بالفيلسوف المبدع لنص.

2- ومنهج خاص بالقارئ المفسر لنص.

فالقارئ يتعامل مع النص بمنهجه الخاص لإبراز انسجامه واتساقه عبر الكشف عن قصد الفيلسوف ، للان القارئ لا " يفهم الفيلسوف إذا لم يجعل نفسه شبيها به، وإذا لم يكتشف بدوره مشكلاته، وإذا لم يبذل كل الجهد معه وبكلمة واحدة، إذا هو لم يأخذ نفسه بمناهجه،أن الفيلسوف يطلب أن نتابع كل خطوة من خطواته بكل الصبر الذي نملكه".(3)

لا تنحوا القراءة التفسيرية المغلقة منحى نمطيا واحدا، بل نلحظ اختلافا وتباينا عند قراءة النص الفلسفي الواحد، فقراءة الفرابي مثلا لا تتطابق أبدا مع قراءة ابن سينا .

إن نظرية القراءة التفسيرية المغلقة تتفاعل مع النص الفلسفي بهدف اكتشاف منطق داخلي تصوري ، يربط كل أجزاء النسق الفلسفي في وحدة فكرية متكاملة.

فالنص في القراءة المغلقة الشارحة، يصبح عقيدة له أتباع **يعتقدون لا ينتقدون**، وهكذا يبدو جليا أن دور القارئ في القراءة التفسيرية المغلقة ينحصر في التلقي السلبي لنص بوصفه معطى مطلق،فهذا النمط من القراءة يكاد يخلو من عملية الممارسة النقدية من قبل القارئ، لان هذه القراءة تتمحور حول قصد المؤلف، ودلالة النص مستمدة من سياقه العام.

إن فهم **"قصد"** الفيلسوف وإدراكه يبقى باعتقادنا أمرا **"نسبيا"**، لان القصد بكليته وأبعاده ومراميه يظل مرتبطا بعقل الفيلسوف المبدع لنص. و" قصد" الفيلسوف لا يقدم بمفرده كشيء واقعي ناجز.فكل ما يستطيع القارئ انجازه، هو قراءة مادة النص بمفاهيمه وأفكاره عبر المعطى الكتابي ولغة التعبير والأسلوب والسياق. وهنا تبرز أهمية مشروعية التساؤل عن دور الكتابة وأهميتها في إظهار قصد الفيلسوف؟ وهذا ما تلمسه في بول ريكور عندما أشار إلى أن غياب السياق المشترك تولده المسافة المكانية الزمانية بين الكاتب والقارئ، لذلك يتم إحلال الكتابة محل الصوت.(04)

ولعل اختلاف الفلاسفة في أساليب التعبير في الكتابة يرجع إلى اختلافهم في الكيفية التي يبرزون فيها مقاصدهم، ويعبرون فيها عن أفكارهم، فقد عبر أفلاطون عن قصده الفلسفي بلغة الحوار المسهب، فنطق سقراط بلسانه، بينما استخدم أرسطو العبارة الموجزة والمركزة، وأحيانا الغامضة، واتسم أسلوب ديكارت بتعابير الرشيقة الواضحة، أما هيجل فكان نصه منمقا

بالمحسنات البلاغية المكتظة بالمجاز. فهذا الاختلاف في الكتابة الفلسفية برجع إلى اعتقاد الفيلسوف بإمكانية إظهار مقاصده بدقة ووضوح.

فالفلاسفة أحيانا لا يلمحون المعنى الدقيق لكتاباتهم، أو أن النص المكتوب لا يسعفهم دائما لتعبير بدقة عن مقاصدهم. فالمقاصد التي يحاول الفيلسوف إبرازها في النص الفلسفي المكتوب في إطار النسق، قد تمضي به إلى أن يقول شيئا أخر غير الذي كان يقصده من قوله.

إن نظرية القراءة التفسيرية المغلقة تبقى في الإطار العام "ذات دلالة واحدة" تنطلق من الالتزام " بمحددات النص"، من ألفاظ وصياغات ودلالات ومعاني، بهدف امتلاك المضمون الايجابي لفكر المؤلف، هذا بالإضافة إلى أن هذه القراءة تنطلق دائما من الضروريات المنطقية والبديهيات والفروض الفلسفية التي سلم بها الفيلسوف وبني عليها نسقه الفلسفي بكل أبعاده، وكأننا أمام سلطة تحتكر المعنى في النص، فالقارئ بذلك يحيي النصوص في كل مرة يقرأ فيها.

2- القراءة التأويلية المفتوحة:

تعتبر القراءة التأويلية المفتوحة هي ضرب من الحوار المنتج والفعال بين القارئ والنص.حيث تمارس القراءة المفتوحة على النص الفلسفي، بوصفه نصا قابلا لكل تأويل محتمل، بوصفه نصا مفتوحا على دلالات و تأويلات متعددة، فالنص الفلسفي لا يأتي منجزا و كاملا من مؤلفه بل يتسم عند أنصار هذه القراءة بالشتات والضياع(5)، فالقراءة التأويلية النقدية هي التي تمنحه المعنى والانسجام حسب بول ريكور وغادامير.

وللقارئ دور حاسم في القراءة التأويلية ، لأنه – حسب كانط- يجب أن يفهم المؤلف بأفضل مما فهم نفسه(6)، إذ يعمد إلى الكشف عن المعنى الباطن أو الخفي، وراء الألفاظ الظاهرة الجلية ، فالقارئ هنا يهدف إلى تنظيم النص عبر قراءة نقدية تحليلية تأويلية .

فالقراة التأويلية **" تطمح إلى الظفر بالمعنى الثاوي في تجاويف القول المتشح بروعة المجاز وغموض الرمز، وهي كشف وانكشاف لذلك المعنى المندس في أعطاف الكلام، والمحتجب وراء سحر العبارة وفتنة الاستعارة"**(7).

إن من يمارس القراءة التأويلية المفتوحة هو القارئ النموذجي، أو القارئ الناقد الذي يحاول أن يستنتج من النص الفلسفي تحديدات ومقاصد جديدة، قد يكون المؤلف لا يقصدها، بل

تتأتى بفاعلية القراءة التأويلية المفتوحة، والنص يصبح ذات أهمية لأنه **"يصير ما يعنيه النص الآن مهما أكثر مما كان يعنيه المؤلف حين كتبه"**(8). فالمؤول يهتم بدراسة الدلالات والعبارات والتراكيب والصيغ اللغوية، فينظر إلى النص الفلسفي بوصفه مشروعا دلاليا يكتمل بالقراءة النقدية التأويلية ويقدم نصا فلسفيا جديدا، وفقا لرؤية منهجية خاصة.

فالتأويل حسب غادامير يؤدي إلى ظهور النص في صورته الأصلية، والحصول على إمكانية الكشف عن حقيقته المتوارية.

إن القراءة التأويلية المفتوحة لنص الفلسفي هي خروج عن العرف في القراءة التفسيرية المغلقة، التي تتمسك بالترابط والنسقية والتكامل، فبها يكتسب النص الفلسفي تعددية الدلالة والمعاني، أو ما يسمى ب " القراءة التفجيرية" لنص، كما فعل ' نيتشه' في الفلسفة اليونانية خاصة والغربية عامة، فالنص الفلسفي القديم عند هيراقليطس، وبارمنيدس وافلاطون، يصبح عبر تأويل 'نيتشه' نصا فلسفيا جديدا.(9)

فالنص الفلسفي بعد التأويل يبدو وكأنه ليس هو، بل مغاير لذاته، في والتعابير المختلفة والدلالات المتباينة التي أعطاها القارئ المؤول لنص. فالقراءة التأويلية المفتوحة تنتج نصا فلسفيا جديدا يتعدى التفسير الملتزم لمعطيات النص الأصلية.

لقد ذهب غادامير إلى أن التأويل تجربة فردية في قراءة دلالات النص الفلسفي، فهي تجربة فردية في قراءة دلالات النص الفلسفي، فهي تجربة ذاتية تخضع لمعايير وضوابط وقواعد محددة تتحكم فيها فرضيات خاصة بالقراءة، فالنصوص الفلسفية بعضها يميل بناؤها إلى التصريح، وبعضها الأخر إلى التلميح وثالثها إلى الغموض. ولما كان النص الفلسفي متعدد الجوانب، لا يمكن لأية قراءة أن تخضعه إلى آليات ثابتة، لأنه ليس ثمة معايير محددة ومتفق عليها في تأويل النص.

لذلك فان القراءة التأويلية المفتوحة ليست نظرية خاصة ذات اطر محددة المعالم والرؤى المنهجية، ولا تقوم على جهاز مفاهيمي خاص، كما أنها لا تتحدد بقواعد أو سمات عامة، أو آليات إجرائية مشتركة. فالقراءة التأويلية تختلف باختلاف المرجعيات الفكرية.

وبما أن النص الفلسفي شبكة متعددة من الدلالات والتعابير والمفاهيم، فان قراءاته تتعدد، ولكن على أن تبقى القراءة التأويلية في الإطار العام لروح النص عند الفيلسوف.

ولذلك فان النص الفلسفي يحتوي على أبنية محدودة من إمكانيات التأويل(10)، وبتعبير أخر يرفض أن يكون النص الفلسفي فضاء مفتوحا إلى ما لا نهاية.

إن النص الفلسفي يبقى ووثيق الصلة بمفهوم التأويل القائم على وجود مدلول نهائي، وهذا ما ذهب إليه بول ريكور في قوله :إن" النص يقدم ميدانا محددا من الأبنية الممكنة"، و أن الحديث عن ما لا نهائية الدلالة لنص الفلسفي، سيؤدي إلى فتح متاهات وانزلاقات دلالية لا حصر لها.

إن القراءة المفتوحة لنص هي قراءة ديناميكية تأخذ بتعدد الدلالات والتأويلات ومن هنا فهي **قراءة اختلاف لا قراءة ائتلاف**، فما يكتشفه المؤول أو القارئ النموذجي يبقى مجرد نمط واحد من أنماط القراءة. فالنص الفلسفي في القراءة المفتوحة ، فضاء مفتوح يتجاوز الزمان والمكان ويتسم بالأبدية.(1)

خلاصة:

مما سبق نصل إلى أن من اجل قراءة النسق الفلسفي أو النص الفلسفي لا بد من الاعتماد على نوعين من القراءة وهما:

- ✓ القراءة التفسيرية المغلقة: وهي قراءة تقوم أساسا على كشف المفاهيم والقضايا الملتبسة في النسق أو في النص التي تهدف إلى الكشف عن مقاصد الفيلسوف.
- ✓ القراءة التأويلية المفتوحة: وهي ضرب من الحوار بين القارئ النموذجي(الناقد) والنص يهدف إلى الكشف عن الدلالات المتعددة التي يتضمنها النص. فهذه القراءة هي قراءة نقدية تهدف إلى إنتاج نص فلسفي جديد.

ومن خلال تحليلنا لكلا النوعين من القراءة، توصلنا إلى أن طبيعة النسق يحدده القارئ تبعا لمنهج القراءة، والخلفية الفكرية التي يحملها. فقراءة النسق أو النص الفلسفي ترتبط بطبيعة القارئ وثقافته الفلسفية والإمكانات المحددة لنص.

قائمة المراجع:

1- سليمان الضاهر(2015).النسق بين المنهج والتأويل. مجلة جامعة دمشق، المجلد 31، العدد الثالث.

2- ميجان الرولي،سعد البازعي(2000).دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، بيروت.

3- بول ريكور(2003).نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى". ترجمة سعيد الغنمي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

4- بول ريكور(2003).الخطاب وفائض المعنى. ترجمة سعيد الغنمي، المركز الثقافي العربي، بيروت.

5- الحبيب بوعبد الله(2007). مفهوم الهرمينوطيقا الغربية والثقافة العربية. مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد 140.

6- بول ريكور(2005). الذات عينها كآخر. ترجمة جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيرروت.

7- هانس جورج غادامير(2006).الحقيقة والمنهج"الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية". ترجمة محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، بيروت.

8- هانس غيورغ غادامير(2006). فلسفة التأويل"الأصول،المبادئ،الأهداف". ترجمة محمد شوقي الزين،المركز الثقافي العربي، بيروت.

9- يوسف كرم(دون تاريخ). تاريخ الفلسفة اليونانية. دار القلم، بيروت.